OPEN ACCESS
Al-Qamar
ISSN (Online): 2664-4398
ISSN (Print): 2664-438X
www.alqamarjournal.com

الجدل الديني: أساسه و أهدافه و دوافعه في منظوم قرآني

Religious Dialecticism: Origin, Objectives and Motives from Qur'ānic Perspective

Dr. Shiraz Akhtar

Assistant Professor, Department of Comparative Religion, Faculty of Usuluddin, International Islamic University Islamabad

Dr. Muhammad Tayyab Khan

Lecturer, Department of Quran and Tafseer, Faculty of Arabic & Islamic Studies, Allama Iqbal Open University, Islamabad

Dr. Waleed Khan

Lecturer, GC Women University Sialkot

Abstract

Although the broad thrust of Qur'ān and Hadith favors religious liberty as Islam views all human beings the creation of God and blessed with intellect, wisdom, free will, and ability to discern between right and wrong! As HE Almighty has ordained in Qur'ān :The lights of clear perception have now come to you from your Lord. Then, he who chooses to see clearly, does so for his own good; and he who chooses to remain blind, does so to his own harm. I am not your keeper (Surah al-An'ām: 6: 104). Thus a Muslim's duty is to act in defense of what is right as much as his faith requires to oppose wrong. In this regard argue or altercation is in fact the name of that intensity which reveals the right and clearance of the statements in which someone defends himself from the opinions of his opponents with evident and proofs. Literally, the meaning of the word "Jadal" (جدل) is to argue or altercate severely and it is used for

one who is stern in battle. The meaning of "Jadal al-Sarīh" (جدل الصريح) in Arabic terms is as they say (غلبته) which means he kept his conflict with the opposition until he was defeated by him. In the term of Sharī'ah it means to bring stronger arguments in comparison with the strong ones. It is appreciated in the case of finding and clarification of the right otherwise it is rejected. However, this article is divided into four major points of discussion. The study comprises, firstly, the definition and origin of the dialecticism, Its objectives secondly, its factors which lead to the proliferation of argument in the Islamic community thirdly and principles of Islamic dialecticism fourthly.

Keyword: Religious Dialecticism, Origin, Significance, Motives, Qur'anic Perspective

التمهيد

الجدل هو شدة التنافس لإظهار الحق والوضوح فيه. وهو أيضا بيان لشخص يدافع عن نفسه من رأي خصمه مع دليل واضح. و في اللغة الجدل "هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها، و الجدل الصريح – و جَدَله جدلاًفانجد له وجَدَّله فانجدل: صَرَعه على الجدالة يعني "الارض الصلبة" وهو مجدول، و قد جَدَلته لأنه يصرع على الجدالة، و يقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً أي غلبته، و رجل جَدِل إذا كان أقوي في الخصام و جادله أي خاصمه مجادلة وجدالاً، و الاسم الجدل، وهو شدَّة الخصومة."أما الجدل اصطلاحاً فقد ورد في المصباح المنير: هو شدّة الخصومة الإظهار الحق ووضوح الصواب، هذا أصله ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق و إلا مذموم. وشرع الجدل من بداية اليوم الإنسانية ؛ لأن للجدل أهمية كبيرة في الحياة البشرية .فمن الطبيعة الإنسانية أن يعرض رأيه ويدافع عنه بكل الطرق للحفاظ علي نفسه من الخطر الذي يقع عليه أو يأتي إليه.تنقسم هذا المقال إلى أربعة مباحث وهي:.الأول: التعريف بالجدل ونشأته و أساسه القرآني.الثاني: أهداف الجدل.الثالث: وجهات إسلامية في القواعد العامة للجدال بالتي هي أحسن.الفصل الثالث:الدوافع التي أدت إلى انتشار الجدل في المجتمع الإسلامي.

فصل الأوّل: تعريفه

قال صاحب لسان العرب: هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها، و الجدل الصريح – و جَدَله جدلاًفانجد له وجَدَّله فانجدل: صَرَعه على الجدالة يعني "الارض الصلبة" وهو مجدول، و قد جَدَلته

لأنه يصرع على الجدالة، و يقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً أي غلبته، و رجل جَدِل إذا كان أقوي في الخصام و جادله أي خاصمه مجادلة وجدالاً، و الاسم الجدل، وهو شدَّة الخصومة."[1]أما الجدل اصطلاحاً فقد ورد في المصباح المنير: هو شدّة الخصومة الإظهار الحق ووضوح الصواب، هذا أصله ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق و إلا مذموم".[2]وقيل الأصل في الجدل: كالصراع و إسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة أي الأرض الصلبة"[3]وقال صاحب المنجد:"الجدل شدّة الخصومة المهارة في الخصومة مقابلة في الخصومة".[4]وكذلك صاحب ذكر في الرائد: "هو المناقشة على سبيل المخاصمة مقابلة الحجّة بالحجّة".[5]وقال الجرجاني: "الجدل".دفع المرء خصمه عن فساد قوله، بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة".[6]و يتضح من هذه النصوص أن الجدل هو شدّة الخصومة لإظهار الحق ووضوح الصواب وهو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بالحجة و البرهان.و قال السيوطي: إنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعائد له فيه على طريقة أرباب الكلام".[7]و قال صاحب القاموس القويم للقرآن الكريم:" الجدل: المنازعة في رأي و شدّة الخصومة،[8] قال الله تعالى ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[9]أكثر مبالغة في الخصومة و تائيد الباطل بغير حق، و جادل: خاصم بالحق و بالباطل، و استعمل في الباطل في قوله: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[(10)] و استعمل في حق قوله تعالى :" ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[11]وقد نهي الله حجاج بيته عن الجدال بكل أنواعه صيانة اعلاقة المحبة بينهم،[(12)] قال تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[13]وقال الجرجاني: "(الجدل) هو القياس المؤلف من المشهورات و المسلمات و الغرض منه إلزام الخصم و افحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان".[14]و التعريف المختار عندي هو ما قاله الجرجاني لوجوه:أولاً: تعريف عام بمعنى أنه لم يقيد الجدل في طريقه أرباب الكلام كما ذهب إليه السيوطي.ثانياً: أن هذا التعريف يتفق مع اساليب الجدالية التي إتخذ القرآن الكريم و التي أراعيها في هذا البحث.و الجدل يستعمل في المذاهب، و الأديان، و في الحقوق، و الخصومات، و يدخل في النثر و الشعر، و لما كان القرآن الكريم هو كتاب الهداية و الرشد، و يدعو الناس إلى التفكر و التدبر، فلا غرابة أن يستعمل القرآن أسلوب الجدل لإثبات التوحيد و النبوات والرّد على اعتراضات الخصوم، و شبهاتهم مع تبيان باطلهم، و قد ورد الجدل في القرآن على ثلاثة أوجه.

أوّلاً: الرد على الخصوم بالحجج القاطعة، و البراهين الواضعة، بواسطة الأنبياء و الرسل، و مثل هذا الجدل يساعد في تبليغ رسالات الله إلى أهل الأرض و من أمثاله قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْo وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْo وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْo فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌo﴾[15]وقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ o وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ

وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[16] و قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾[17]وايضاً قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَo وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِo لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَo﴾[18]وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[19]وهذا نوع من الجدل في كتاب الله و إن كان في معني الإلزام و الإفحام إلا أنه مشتمل على التوجيه والإرشاد إلى طريق الحق والصواب.ثانياً: طريقة الحوار، سواءٌ أكان هذا إسترشاد، أو الرجاء أو الدعاء، و من امثال ذلك جدال الملائكة صلوات الله عليهم – حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[20]وجدال ابراهيم عليه السلام مع ربه حيث قال : ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [21]

وكان جدال عدو الله ابليس – لعنه الله- فهو أول من أظهر الخلاف و العناد، و جادل الله عزوجل، كما جاء في القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَo قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍo قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ o قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَo قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَo قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَo ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَo قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَo﴾[22]والفرق بين جدال الملائكة الكرام – صلوات الله عليهم – وجدال عدو الله ابليس – لعنه الله تعالى- أن الملائكة لم يظهر منهم خلاف و لا عصيان الله تعالى، بل طلبوا بسؤالهم الإيضاح و البيان – عما جهلواحكمته بينما خالف ولا إبليس حكم الله وتكبر، و جادل ردّا لأمره – سبحانه و تعالى بالسجود لأدم.

ثالثاً: الردّ على الاعتراضات و الشبهات التي جاء بها الكفار و المعاندون مع بيان بطلانها، ومثالها ذلك: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًاo قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًاo أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [23]وقوله تعالى: أيضاً: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَo أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَo قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَo لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍo﴾ [24]وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًاo﴾[25]وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَo وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَo﴾[26]وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَo﴾[27]فهذه هي الأساليب الجدلية

التي استخدمها القرآن الكريم لإثبات التوحيد، و النبوات، والرّدّ على اعتراضات الخصوم، و شبهاتهم، مع بيان باطلهم .[28]ألفاظ مرادفة للجدل:و قد شاعت بين الناس الفاظ إن لم تكن واحدة في المفهوم فهي قريبة بعضها من بعض كالمناظرة، و المحاورة و المناقشة و المباحثة و المكابرة لأنها ترجع في نهاية أمرها إلى طريقة البيان و التبين التي أودعها الله بني الإنسان جبلة و طبعاً، و قد توجد بينها فروق بيّنتها قواعد الجدل و أدب البحث المناظرة، إذ يرى البعض أن الجدل يراد منه إلزام الخصم و مغالبته.

أما المناظرة: فهي تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله و إبطال قول صاحبه مع مل منهما في ظهور الحق.و المحاورة: هي المراجعة في الكلام و منه التحاور أي التجاوب، وهي ضرب من الأدب الرفيع و أسلوب من أساليبه، وقد ورد لفظ الجدل و المحاورة في موضع واحد من سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾[29]

المناظرة و الجدل

إن المناظرات و المجادلات قديماً قد إشتدت، و شاعت، ولكن بينما كان الغرض منها فيما سبق الوصول إلى معرفة حكم من الأحكام، صار الغرض منها في هذه العصور نصرة مذهب على مذهب، و قد شاعت مجالس المناظرات شيوعاً كثيراً، فكانت لا نخلو منها مدينة في العراق أو خراسان. كانت المناظرات تعقد امام الوزراء و الأُمراء، و يحضرها كثير من أهل العلم، و بلغ سبيلها أعلى إرتفاعه حتى كانت تعقد في مجلس العزاء.[30]و إشتدت المناقشة بين الشافعية و الحنفية، و ما كان الدافع معرفة علل الأحكام، أو إستنباط قواعد الشرع، بل إرضاء نهمة التعصب، و شهوة الحكام و كان حجة الإسلام الإمام الغزالي، من أحد الناس في الجدل و المناظرة، أقوال هؤلاء في الأخذ بناصية خصمه، و لكنه تاب إلى الله، و لم يعد هذا و النوع من النقاش من التعاون على طلب الحق، بل قال في شأن المتناظرين. إن هؤلاء القوم يلبسون على أنفسهم بقولهم إن التعاون على طلب الحق من الدين.[31] هذا و بالإضافة من أمثال المناظرات و الجدل في شبه القارّة الهندية حيث إنّها تعدّ إحدى سمة التفوق و الرسوخ في العلم. نشأة الجدل مطلقاً:إن من طبيعة الإنسان أن يعتبر برأيه و يدافع عما يعقده بكل و سيلة، فقد يشتد الإنسان في بعض المواقف في تبادل الكلام و يحتج بالأدلة و البراهين على صحة ما يقول: و سبب هذه النزعة هو التفاوت في العقول البشرية، فتختلف الآراء و الأفكار نتيجة الإنفعالات و الأحاسيس النفسية، و هذه النزعة النفسية يعبر عنها بالجدال، لأنه أي شدّة الخصومة لإظهار الحق و توضيح الصواب، و يقصد به غاية الوضوح و البيان. فالنفس البشرية لا يمكن أن تخلو منها، لأنه ضرورة بها، وهو جبلة فيها كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [32] بل، ولا تفارقه النفس حتى في موقف القيامة، كما أخبر الله سبحانه و تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾[33]أي يوم يأتي كل

انسان يجادل عن ذاته، لا يهمه شأن غيره قال القاسمي: أي تحتاج و تسعى في خلاصها، لا يهمها إلا ذاتها و شأنها. و لا يغني عنها مال و لاأب ولا ابن ، و لا شيء ما.[34]وكذلك ورد في الحديث:ما رواه الترمذي و ابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ: فَأَمَّا عَرْضَتَانِ، فَجِدَالٌ، وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ"[35]قال المحقق محمد محمد حسانين في كتاب الرّد على النصارى "في حقيقة" تحقيق لكتاب أبي البقاء صالح الجعفري تخجيل من حرف الإنجيل وهو سماه برد على النصارى، أن انسياق المسلمين نحو الجدل كان بفعل الظروف، فلم يكن أمامهم سوى هذا الطريق، ذلك أن الرقعة التي انتشر فيها الإسلام بفعل الفتح كان معظمها ما مملوءٌ بأهل الكتاب، ممن يدينون بالنصرانية أو اليهودية، و طبعي أن يحدث احتكاك متعدد الصور و الجوانب بين المسلمين. أهل العقيدة الجديدة. و بين أرباب العقائد الأخرى، خصوصاً على الجانب الفكري و العقائدي، و كان لا بد أن يندفع كل فريق لينصر عقيدته و يبرز محاسنها ومميزاتها. هذا من ناحية، و من ناحية أخرى فإن الإسلام ما انفك يدعو أهل الكتاب إلى الدخول في دين الله.[36]الأمر الذي حتم على من أثر منهم البقاء على دينه أن يبرز رفضه للدين الجديد فبعد انتشار الإسلام وجدت الجماعات غير المسلمة. و خصوصاً النصرانية. نفسها أمام خيار صعب: الإسلام أو دفع الجزية فالذين فضلوا البقاء على دينهم الجزية وجدوا أنفسهم من جديد مضطرين للإجابة عن هذا السؤال: لما ذا لم يختاروا الإسلام؟ فكان عليهم أن يشرحوا موقفهم و يبرزوه، وكان شرحهم و تبريزهم مشتملاً بالضرورة على نقد للإسلام، يتضح ذلك من عدة مواقف و كتابات لرؤساء النصارى الدينين، فقد اضطر يوحنا الدمشقي دفاعاً عن بقائه على النصرانية. على إلى توجيه عدة انتقادات إلى الإسلام.[37]اشهرها: "أن المانع له من الدخول في الإسلام هو أن المسلمين قد قبلوا الإسلام و القرآن دون شاهد على صحة رسالة محمد."[38]أي دون أن يأتي محمد صلى الله عليه وسلم بمعجزة عند ذلك اضطر المسلمون إلى دفع هذه الاتهامات، فادفعوا يدرسون الكتاب المقدس ليجدوا فيه ما يمكنهم من أن يكيلوا لخصومهم الصاع صاعين، وهكذا دارت عجلة الجدل بين المسلين و النصارى ، ولم تتوقف حتى اليوم، و تمحض هذا الجدل عن أثار سنتناول بعضها في نهاية هذه المدرسة.[39]

المبحث الثاني: أهدافه

هدف المناظرة هو في الأصل تعاون الفرقين المتناظرين على معرفة الحقيقة و التوصل إليها بتبصير كل منهما صاحبه بالأماكن المظلة عليه، وذلك حينما لا يكون أحدهما واقفاً على الحقيقة المبنية وقوفاً قطعياً غير قابل للنقص، أما في هذه الحالة فإن هدف المناظرة إنّما هو تبصير الواقف على الحقيقة أخاه المناظر له بها، و الأخذ بيده في طرق الاستدلال الصحيح لإبلاغه وجه الحق المشرق، و ذلك باستخدام الحوار البرئ من التعصب ، الخالي من العنف و الإنفعال،المتمشي وفق الأصول العامة

للحوار الذي يهدف فيه كل من الفرقين المتحاورين أن يصل إلى الحقيقة ، كأنه جاهل بها الذهن و النفس من أي استمساك سابق بوجهة نظر معينة من وجهات النظر المختلفة و ذلك للآبتعاد عن كل أجواء التعصب و الأنانية التي تصرف النفوس و الأفكار عن فهم الحق، أو التسليم به، و لو انكشف لها واضحاً جلياً.[40]ومن أهدافهأن تحصل الباحث المنصف على عقد مصالحة بين كل من القرآن و التوراة و الإنجيل على أساس هذا الإتفاق ؟أعتقد أن هذه المحاولة فاشلة من ناحيتين.

أولهما: الناحية العملية

فبرغم وجود النصوص الدالة على التوحيد و التنزية إلا أنّ التوحيد و التنزية لم يكن سمه عقدية لأي من أهل الكتابين مشبهون و النصارى مثلثون في الواقع.

ثانيهما : الناحية الاعتقادية

فلا يتوافق مع المنهج العلمي أن يلتقط الإنسان نصاً من التوراة و الإنجيل قد أفلت من التحريف و التبديل المجرد المصادفة و لأمر أراد الله تعالى ليقيم منه قاعدة للاعتقاد أو السلوك أو كليهما معاً عند اليهود و النصارى و بصرف النظر عن كل ما يمتلىءبه كل منهما من التشبيه و الكفريات و القول بالوهية البشرية و هذه النصوص هي الغالبة على الكتابين معاً- وأكثرها من الصراحة التي نعتبرها صحيحة تشكل طرفا من طرفي التناقض من الناحية النظرية هذا التناقض الذي هو سمة الكتابين معاً، و الذي يعترف به المسيحون و اليهود أنفسهم بصراحة و دون ما حرج، ونحن نؤمن بصحة هذه الصحة النصوص الشاهدة بالتنزية و الوحدانية و لكن هذه الصحة في ذاتها بل لأنها جاءت في القرآن أما الكتب نفسها كنص و توثيق فلا تثبت أمام النقد، لكن وجود هذه النصوص مفيد من الناحية النظرية الجدلية حيث يمكن مجادلتهم به لأنهم يسلمونه و لا محيد لهم عن الإقرار به.[41]

الجدال الأحسن من وسائل الدعوة إلى الإسلام

ولما كان الجدال في الواقع الإنساني من الوسائل التي تستخدم لنشر الأفكار والإقناع بها، وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً، و الجدال سلاحه للدفاع عن أفكاره، فقد أمر الإسلام به للدفاع عن الحق الإسلامي مشروعاً بأن يكون بالتي هي أحسن، كما أمر بالقتال لصدّ عدوان الكافرين، فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في سورة النحل﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[42]و ايضاً خاطب الله تعالى المؤمنين في سورة العنكبوت بقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [43]أي: فإن سلك مجادلوكم مسالك غير مهذبة القول، فتقيدوا أنتم بكل قول مهذب، و اسلكوا كل طريقة هي أحسن و أفضل، و عبارة "بالتي هي أحسن" تشمل بعمومها الأساليب الفكرية و القولية، و بهذا يتبين لنا أن المطلوب من المسلم أم يكون في مجادلته على حالة أرقى و أحسن باستمراره من الحالة التي يكون عليها من يجادله، أدباً و تهذيباً، أو قولاً و فكراً، و قد أتى الله إبراهيم عليه السلام قوة حجة، و قدرة على الجدال للإلزام بالحق، وهذا ما تكشفه لنا جدليّاته التي قصّ القرآن علينا طرقاً منها، و أثنى الله على

قوة حجة إبراهيم عليه السلام بقوله في سورة اللإنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌo﴾[44]

و أتى الله نوحاً عليه السلام نفساً طويلاً في جدال الكافرين لإقناعهم الحق الذي جاء به من عند الله، حتى ضاقوا ذرعاً بقوة حجته و طول نفسه في الجدال فقالوا: يله يا نوح قد جادلتنا فأمثرت جدالنا، هذا ما قصه الله علينا في سورة هود: ﴿قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَo قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَo﴾[45]وقلل القرآن من قيمة من هو في الخصام غير مبين، فقال الله تعالى في سورة الزحرف: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍo﴾ [46]و من هذا يتحصل لدينا أن الجدال للوقوف على الحق، لإقناع الناس على عمل محمود، و قد يكون واجباً كالقتال في سبيل الله، أما الجدال بعرض انتصار للنفس و رغبة للإستعلاء و الغلبة، فهو عمل مذموم، و قد يكون حراماً إذا كان طمس للحق أو تضليل للمناظر.

ثالثا: وجهات إسلامية في القواعد العامة للجدال بالتي هي أحسن

يحسن كل من الفرقين المتصدّيين للمحاورة الجدلية (المناظرة) حول موضوع معين، عن التعصب لوجهة نظره السابق، و إعلانهما الإستعداد التام للبحث عن الحقيقة، و الأخذ بها ظهورها، سواء أكانت هي وجهة نظر أخرى، وقد أرشدنا، أو وجهة القرآن الكريم إلى الأخذ بهذه القاعدة، إذ علّم الرسول صلوات الله عليه و المسلمين في سورة (سبا) أن يقولوا للمشركين في مناظرتهم لهم:﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍo﴾ [47]وفي هذا غاية التخلي عن التعصب لأمر سابق، و كمال إعلان الرغبة ينشد الحقيقة أي كانت و لمّا كان موضوع المناظر الذي وردت هذه الآية في صدده توحيد الخالق أو الإشراك به.[48]

القاعدة الثانية

تقيد كل من الفريقين المتحاورين بالقول المهذب البعيد عن كل طعن أو نجريح، أو سخرية، أو احتكار لوجهة النظر التي يدّعيها أو يدافع عنها من يحاوره وقد أرشدنا الإسلام إلى التقيد بهذا القاعدة في نصوص كثيرة منها قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في "سورة النحل"﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [49]وقول الله تعالى للمؤمنين في سورة (العنكبوت):﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَo﴾[50]و التوجيه إلى الخطة هي أحسن، يشتمل كل ما يتعلق بالجدال، و يربط به و يرافقه ويصاحبه، من قول و فكر وعمل. فالمسلم مطالب بان يلتزم في مجادلته لإثبات الحق الذي يؤمن به و إقناع الناس به و بالتالي يمكن أن يتخذها الناس في مجالاتهم، لذلك كان من اخلاق المسلم و آدابه مع خصوم دينه ومخالفي عقيدته، فضلاً عن إخواته و السخرية، و الفحش و البذاءة، وقد أكد الإسلام النهي عن هذه المسالك فقال الله تعالى يخاطبا رسوله والمؤمنين في سورة الأنعام: ﴿لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ

يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[51]وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ"[52]

القاعدة الثالثة

التزام الطرق المنطقية السليمة أثناء المناظرة و الحوار:و يدل على هذه القاعدة عموم الأمر بأن يكون الجدال جدالاً بالتي هي أحسن و من التزام الطرق المنطقية السليمة ما يلي:أوّلاً: تقديم الأدلة المثبتة أو المرجية لأمور المدّعاة:ثانياً: إثبات صحة النقل للأمور المنقولة المروية.[53]

ونجد الإرشاد إلى ذلك في نصوص قرآنية كثيرة، منها ما يلى، قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ o﴾ [54]و قول الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24)﴾[55]ففي هذين النصين يأمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يطالب المشركين بتقديم برهانهم على ما يدّعون، و يشمل البرهان في مثل هذا الإدّعاء البرهان النقلى عن رسول من رسل الله، وآية الأنبياء تشير إلى مطالبهم بالبرهان النقلي، آية النمل فتطالب بتقديم البرهان بشكل عام،عقلياً كان أو نقلياً.[56]

القاعدة الرابعة

ألا يكون المناظر ملتزماً في أمر من أموره بضد الدعوى التي يحاول أن يثبتها ، فإذا كان ذلك ، كان حكماً على نفسه بأن دعواه مرفوضة من وجهة نظره، و لذلك أسقط الله دعواهم بقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾[57]

القاعدة الخامسة

ألا يكون في الدعوى أو في الدليل الذي يقدمه المناظر تعارض، أي ألا يكون بعض كلامه ينقض بعضه الأخر، فإذا كان كذلك كان كلامه ساقطاً بداهة، و من ذلك قول الكافرين حينما كانوا يرون الأيات الباهرات تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم "سحر مستمر" و قد حكى الله لنا ذلك بقوله في سورة القمر:﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُo وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّo﴾[58]ففي قولهم هذا تعارض وتهافت ظاهر لا يستحق رداً، و ذلك لأن من شأن السحر كما يعلمون أن لا يكون مستمراً، و من شأن الأمور المستمرة أن لا تكون سحراً، أما أن يكون الشيء الواحد سحراً و مستمراً معاً. فذلك جمع عجيب بين أمرين متضادين لا يجتمعان و نظير ذلك قول فرعون عن موسى عليه السلام حينما جاءه بسلطان مبين من الحجج الدامغة و الأيات الباهرات "ساحر" أو "مجنون" و قد قصّ الله علينا بقوله سورة الذرايات: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍo فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌo﴾[59]

القاعدة السادسة

الأ يكون الدليل يقدمه المناظر ترديداً لأصل الدعوة ، فإذا كان كذلك لم يكن دليلاً، و إنما هو إعادة للدعوى بصيغة ثانية و سقوط هذا في المناظر أمر بدهي، و قد يخفى على الخصم إذا استخدم المناظر براعته في تغيير الألفاظ وزخرفتها، و لكنها حيلة باطلة لا يلجا إليها طلاب الحق.

القاعدة السابعة

عدم الطعن بأدلة المناظر إلا ضمن الأصول أو القواعد المسلم بها لدى الفريقين المتناظرين.

القاعدة الثامنة

إعلان التسليم بالقضايا و الأمور التي هي من المسلّمات الأولى، أو من والأمور المتفق بين الفريقين المتناظرين على التسليم بها، أما الإصرار على الأفكار المسلّمات فهي مكابرة قبيحة، و مماراة منحرفة عن أصول المناظرة و المحاورة و الجدلية السليمة ، و ليست من شأن طالبي الحق.

القاعدة التاسعة

قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة، أو الأدلة المرجّحة إذا كان الموضوع مما يكفي فيه الدليل المرجح و إلا كانت المناظرة من العبث الذي لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه.[60]

ظهور مفهوم الجدل

منذ خلق الله آدم عليه السلام وقد بيّن القرآن الكريم حيث نرى أن هناك فرق واضح بين جدل الملائكة مع الله تعالى و جدل عدو الله إبليس في الأسلوب و المضمون.وسيبين ذلك الأمر بالأدلة التالية[61]جدال الملائكة عليهم السلام و جدل عدوالله إبليس، و الفرق بينهما:بدأ هذا الجدال عندما أخبر الله سبحانه و تعالى الملائكة يخلق آدم عليه السلام و أمرهم بالسجود له، كما يقص القرآن الكريم، فيقول:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَo وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَo قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُo قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَo وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَo﴾[62] أما إبليس فقد بدأ يجادل عندما سأله الله لما ذا لم تسجد لأدم فجرى بينه و بين الله الكلام الذي ذكر في القرآن الكريم في أكثر من موضع من سورة البقرة، و الأعراف، و سورة الكهف، و طه، وغيرها من السور، و لكن هناك فرق كبير بين جدال الملائكة و جدال إبليس، لأن الملائكة لا يعصون الله ولا بخالفون أمره عزوجل فلا يليق بهم أن يعترضوا على أمر الله، إذ هو من أعظم الذنوب، وقد قال القرآن الكريم في شأنهم: ﴿لَايَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَo﴾[63] وقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَo لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَo﴾[64] وقولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[65] يظهر منه كأنهم اعترضوا على الله و الجواب :

أن هذا ليس من قبيل الاعتراض و إنما هو الرغبة في المعرفة والبيان و الاستطلاع عمّا جهلوا حكمته، كانّهم قالوا: ما لحكمة في الخلق و هكذا المخلوق و نحن موجودون نسبحك؟ فليس غرض الملائكة بهذا السؤال الإعتراض، أو تنبيه الله على شيء كان غافلا عنه تعالى الله عن ذلك من كمال علم الله تعالى و إحاطة حكمته بما خفي على العقلاء.[66]

ويحتمل أن سؤالهم هذا من قبيل استحقاقهم الخلافة، أي أنهم أرادوا بهذا أنهم أولى بالخلافة لأنهم يسبحونه ويقدسونه سبحانه و تعالى، فهم أولى بها ممن يفسد في الأرض و يسفك الدماء. قال ابن كثير " و إنما هو السؤال استعلام و استكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسدفي الأرض و يفسك الدماء فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك و نقدس لك أي نصلى لك. أي ولا يصدر منا شيء من ذلك، و هلا وقع الإقتصار علينا؟ قال تعالى مجيباً لهم عن هذا السؤال "إني أعلمُ ما لا تعلمون" أي أعلم من المصلحة الراجعة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء، و أرسل فيهم الرسل، و يوجد منهم الصديقون و الشهداء، والصالحون، و العباد، والزهاد، و الأبرار و المقربون ..... الخ.[67] فدواعي الجدال هذا هي حب الإسترشاد، و الإستبيان و السؤال عما جهلوا حكمة لأنهم ما كانوا يعرفون حكمة الله تعالى في خلق آدم و ذريته، والدليل عليه قولهم:﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُo﴾[68]"فهم اعترفوا بجهلم و سجدوا لأدم – إلا إبليس – حيث أمرهم الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [69] فحوار الملائكة – جدالهم – لم يكن بلا سبب بل كانت له بواعث، منها ما ذكرته من قبل، و قد ذكر صاحب المنار فوائد أخرى في هذا الصدد.أحدها: أن الله تعالى في عظمة و جلالة يرضى لعبيده أن يسألوه عن حكمته في صنعه، و ما يخفى عليهم من إسراره في خلقه، و لا سيما عند الحيرة. ثانيها: إذا كان من أسرار الله تعالى و حكمه ما يخفى على الملائكة، فنحن أولى بأن يخفى علينا، فلا مطمع لإنسان في معرفة جميع أسرار الخليقة و حكمها لأنه لم يؤت من العلم إلا قليلا.ثالثها: أن الله تعالى هدى الملائكة في حيوتهم، عن سؤالهم لإقامة الدليل، بعد الإرشاد إلى الخضوع و التسليم، و ذلك أنه بعد أن أخبرهم بأنه يعلم ما لا يعلمون علم آدم الأسماء ثم عرضهم على الملائكة.رابعها:تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب الناس ومحاجتهم في النبوة بغير برهان على إنكار ما أنكروا و بطلان ما جحدوا، فإذا كان الملأُ الأعلى قد مثلوا على أنهم يختصون البيان والبرهان فيما لا يعلمون، فأجدر بالناس أن يكونوا معذرين، و بالأنبياء، أن يعاملوهم كما عامل الله الملائكة المقربين.(70) قال الله تعالى مخبروا عنه: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍo﴾ [71]

قال الشهرستاني: "أعلم أن أوّل شبهة و قعت في الخليقة : و شبهة إبليس لعنه الله و مصدرها استبداده بالراي في مقابلة النص و إختياره الهوى في معارضة الأمر، و استبداده بالراي في مقابلة النص و

اختياره الهوى في معارضة الأمر، و استكباره بالمادة التي خلق منها و هي النار على مادة آدم عليه السلام و هي الطين.[72] فالفرق بين جدال الملائكة و جدال إبليس هو أن جدال الملائكة مبنى على حب الإسترشاد، و البيان، و إظهار التعجب و السؤال عمّا جهلوا حكمته، أما جدال إبليس فمبنى على التكبر، و العناد، و التعنت و إختيار الهوى في معارضة الأمر و لما ثبت أن الجدل ضرورة حتمية، و جبلة فطرية للنفس البشرية فمحال أن يعرف له نشأة محدّدة. قال صاحب كتاب مناهج الجدل: "و إذا أردنا أن نعرف تاريخ الجدل و نشأته فإن القرآن الكريم أصدق سجل يروي لنا نماذج من جدل الأمم الغابرة منذ أن وجد الإنسان على هذه البسيطة بل وجوده كما تقدم عن جدل الملائكة حول وجود آدم خليفة في الأرض، و بهذا نقول: إنه لا يمكن أن نحدد وقتاً زمنيا لنشأة الجدل بمعناه الفطري العام لأنه وجد بوجود الإنسانية كامنا في نزعاتها البيانية.[73]

رابعاً: الدوافع التي أدت انتشار الجدل في المجتمع الإسلامي

إن الإسلام عبارة عن عبادات، و معاملات، فالذين رأوا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم و استمعوا إليه آمنوا بما جاء به - عليه السلام – دون تردد أو شك – و إذا ترددوا في شيء ما لجأوا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لرفع التردد، فإيمانهم كان إيماناً كاملاً غير متزعزع. ثم الذين جاءوا بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم لم يواجهوا أيضاً اي مشكلة أو شبهه، لا في الأمور الدينية ولا الدنيوية وذلك لسبب وجود الصحابة رضي الله عنهم الذين رباهم النبي صلى الله عليه وسلم تربية كاملة. ولكن بعد الخلافة الراشدة ابتعد المسلمون عن دينهم شيئاً فشيئا، فغير نظامهم السياسي و الثقافي، و الإجتماعي. و ترجمت الثقافات و العلوم اليونانية و الفارسية إلى اللغة العربية. و بدأ هجوم الأفكار الفلسفية الباطلة على الإسلام و المسلمين. أما أسباب انتشاره في المجتمع الإسلامي، فهي ترجع إلى جانبين. الجانب الداخلي و الجانب الخارجي.

الجانب الداخلي

وهو يرجع إلى: حثّ القرآن الكريم على النظر، و التأمل في ملكوت السموات و الأرض، وما خلق الله فيهما حتى بعرف أن يكون خالقاً و مدبراً و من ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْo وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْo وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْo وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْo فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌo﴾[74] وقوله تعالى: ﴿أفلا يبصرون...." و ﴿أفلا تعقلون.... ﴾ و ﴿أفلا تتفكرون﴾ و ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾.وهكذا حثّ القرآن الكريم على استعمال آلة الفكر و النظر إلى جانب استعمال الحواس فينتج عن ذلك أفكاراً جديداً و آراء مختلفة و ذلك لتفاوت في العقول و تباين في الأذهان، قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[75] وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[76] وكذلك قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[77] فيرى ظاهر التعارض في النصوص، و لكن يُزال هذا التعارض إذا فهم المراد من الأمر بالجدال، و النهي عنه ولكن طائفة من الناس تمسكوا

بظواهر النصوص، الواردة بالأمر بالجدال و طائفة مهنم تمسكوا بظواهر النصوص الواردة بالنهي عن الجدال، و تجادلوا فيما بينهم دون فهم المراد من الجدال المأمور به و المنهي عنه.الدافع السياسي نابع من إختلاف المسلمين حول الإمامة:وكما هو معلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي ولم يختر خليفة بعده. فحدث حوار بين المسلمين في إختيار الخليفة، كذلك كما جرى الجدال فيما بينهم في متابعة أبي بكر رضي الله عنه في أمر الجهاد ضد المرتدين، و ما نعي الزكاة وغير ذلك من الأمور.

الجانب الخارجي:

إختلاط المسلمين بغيرهم من أنباء البلاد المفتوحة، فمنهم من دخل الإسلام حباً و عن إقتناع به ومنهم من لم يقبل الإسلام بل ظل على دينه القديم مستصحباً معه الأفكار التي عرفها عنها. فقام المسلمون للدفاع عن دينهم، والرد على هؤلاء فكانوا يجرون الحوار و الجدال معهم بغية الوصول إلى الحقيقة و نصرة الحق.حركة الترجمة: [78]وما نتج عنها من إطلاع المسلمين على كتب الفلسفة اليونانية، وخاصة المنطق و الأرسطي، مما دفعهم للذود عن أصالة الإسلام و فكرة دحصن أباطيلهم و منطقهم.طعن اليهود و النصارى و غيرهم في الإسلام في عقيدته و أحكامه و تشريعاته بأنواع من الطعنات. فجادلهم المسلمون في مواقف عديدة، و قام علماؤهم لدحض أقوال الطاعنين وتفنيد مزاعمهم.[79]فهذه بعض الجوانب والأساليب التي أدت إلى إنتشار الجدل في المجتمع الإسلامي.

اشتداد الجدل في الأديان و أسبابه

حرص القرآن وهو يقرر عقيدته و مبادئة، على التعرض للديانات الباطلة و المحرفة و منها على سبيل المثال اليهودية و المسيحية بل تعدى النقد إلى تصوير الوجه المضيء لكل من الدياتين في صورتها السماوية النقية في العقيدة على ما مة و في الشريعة من نحو، قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [80] بل أشار ضمنا بشريعة الإنجيل ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾[81]قبل أن اشتبك الديانتان مع الإسلام و اشتبك معهما الإسلام أو بالأخرى اشتبك أهل هاتين في الجدل لم ينته بعد و كان هذا الجدل بين الإسلام و كل من اليهودية و النصرانية أهمية خاصة بالنسبة إلى الإسلام وإذا دققنا النظر وجدنا أن الأهمية ترجع إلى أمور منها.[82]القرب الزماني و المكاني فهما أقرب رسالتين إلى الإسلام بل سابقتاه مباشرة من حيث الزمن. وكذلك بحسب الموطن كانتا قريتين في المكان و كانت هناك صلات كثيرة بين العرب الذين موضوع الدعوة و ميدانها. و أهل الشام معقل الديانتين و كانت هناك رحلات للسفر و التجارة بل و الاختلاط فقد نزح بعض اليهود إلى جزيرة العرب في المدينة و خيبر و غيرهما و من خلال هذا كله كان هناك نوع من الجدل الأخذ و الرد بين أصحاب هذه الديات هذا الجدل تحمل القرآن مسئوليتة، وقد تطور هذا الجدل بمرور الوقت نتيجة لإتساع المد الإسلامي و فتحه لبلاد كل من الديانتين و سواءٌ من دخل منهم في الإسلام أو لم يدخل كان كل من الفرقين يثير نوعاً من الجدل.[83]أما

الأمر الثاني الذي يعكس أهمية اليهودية و النصرانية بالذات في مقاربة الأديان وينحو بهذا الدراسة منحى علميا على الأقل من جهة الإسلام فهو أن لكل من أهل الديانتين كتاباً مسطوراً يتمسكون به و يعرضون اراء هم من خلالة و كذلك الإسلام عند المسلمين بنصه القرآني. و بصرف النظر عن صحة هذين الكتابين أو عدم صحتها.فقد كان ذلك من عوامل الاحتكاك العلمي المجادلة من خلال النصوص و هذا قد فتح بابا كبيراً للجدل العلمي بين الديانات الثلاث و أدى النص الديني في كل منها دوراً علمياً بازراً بالنسبة إلى عرض الأراء و الإلزامات بالنصوص والمعالى التي جعلت اليهودية و المسيحية من الأهمية بمكان دون غيرهما من الأهمية بمكان دون غيرهما من حيث أن الديانات القديمة ضاعت أصولها و لم يعلم عنها شيء أو عن معظمها، فضلاً عن أن يكون لها كتب موجودة فعلاً ايا كانت و رغم هذه الظواهر إلا أنه من الحق أن نقول إنه ما من مشكلة تثار في هذا المجال ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويل ما أنزل الله بما لا يحتمله إلا و تحمل مسؤليتها اليهود، والنصارى، أو اليهودية، والنصرانية، وليس الإسلام و المسلمين.[84]

نتائج البحث

و قد حصل ممّا سبق من الدراسة:1ـأنّ الجدل الديني له أهمية كبيرة في مجال الأبحاث و الدراسات العلمية و خاصة في مقارنة الأديان و ذلك لما يؤدّي هذا المجال إلى تبادل الآراء و إبراز الحق و بيانه. فإنّ الجدل الديني أصوله و مناهجه مستمدّة من القرآن الكريم و السنة النبوية. 2ـقد عنى العلماء بالجدل الديني فألّفوا فيه كثيرا و بذلوا جهودهم و دوّنوا الأصول في هذا المجال. 3ـأنّ علماء المسلمين قديماً كان لهم جهد و ولع في علم الجدل و المناظرة تحقيقا للحقّ و إبطالاً للباطل بالحجة و البرهان و هذه الجهود في حاجة إلى العناية و خراجها في صورة أفضل للاستفادة منها في عصرنا الحاضر. 4ـأنّ علماء المسلمين لم يكونوا مخترعين لهذا الفن بل كانوا على آثار سلفهم كحلقات من سلسلة واحدة غير أنّهم أضافوا إليه أساليب و مناهج متنوعة بهذا الصدد. 5ـو الجدير بالذكر أنّ هذا هو ما كان في العصر الذي كان للمسلمين تفوق في العلم مع السلطة في البلاد أمّا في عصرنا الحالي ينبغي لهم أن يقوموا بجهود حتي يدوّنوا أصول الجدل الديني مستمدّين ممّا سبق من كبار هذا الفنّ ناظرين إلى الظروف المعاصرة لهم.

References

[1]Abu al-Fadhl Jamāl al-Dīn Ibn Mukrram, *Lisān al-'Arab* (Beirūt: Dār al-Sādir, n.d), 11:105.
[2]Ahmed Ibn Muhmmad Ibn 'Alī al-Rāfi'ī al-muqārī, *Kitāb al-Misbah al- Munīr fī Garīb al-Sharah Al kabīr* (Cairo: al-Matba'h al-Amīriya, 1926), 1:128.
[3]Muhmmad Ibn Ya'qūb al-Fīrozabādī, *Basā'ir Zave al tamyīz Fī latā'if al-Kitāb al-Azīz* (Beruit: al-Maktiba al-'lmiyya, n.d), 2:374.
[4]*Al-Munjid* (Alhadiya wa Alashroon), 82.

[5] Jibrān Masūd al Rā'id, *Mu'jam Lughavī 'asrī* (Beruit: Dār al-'Ilm al-Malāyīn, 1992), 502.
[6]Ali Ibn Muhmmad al-Sayed al-Sharīf al-Jurjānī, *Kitāb al-Ta'rifāt* ed. Ibrāhīm al-Abyārī (Tehrān: Intishārāt Nāsir Khusro), 33.
[7]Jalāludīn al-Suyūtī, *Al Itqān Fī 'Ulūm al-Qur'ān* (Beruit: Dār al Fikr, n.d), 2: 172.
[8]Ahmad Abd al Fattāh Ibrāhīm *Al Qāmūs Al Qawīm Lī al-Qur'ān al-Karīm* (Dār al Kalimah al-Nashr wa al-Taowzīh, n.d), 1: 119.
[9]Al-Kahaf 18:54.
[10]Al-Nisā' 04:109.
[11]Al-Nahl 16:125.
[12]Ahmad Abd al Fattāh Ibrāhīm *Al Qāmūs Al Qawīm,* 1:119.
[13]Al-Baqarah 2:197.
[14]Ali Ibn Muhmmad al-Sharīf al-Jurjānī, *Kitāb al-Ta'rifāt,* 33.
[15]Al-Ghāshiyah 88:17-22.
[16]Al-Ra'd 13:3-4.
[17]Al-Yūnus 10:5.
[18]Al-Yasīn 36:33-35.
[19]Al-Mulk 67:1.
[20]Al-Baqarah 2:30.
[21]Al-Baqarah 2:260.
[22]Al-A'rāf 7:11-18.
[23]Al-Isrā 17:49-51.
[24]Al-Wāqi'ah 56:47-50.
[25]Al-Isrā 17:42.
[26]Al-Jumu'ah 62:6-8.
[27]Al-'Imrān 3:184-185.
[28] Zāhir 'Awādh, *Manāhij al-Jadal Fī al-Qur'ān al-Karīm (*Matābi' Al-Farazdak al-Tijāriyah, n.d), 21 -22.
[29]Al-Mujādilah 58:1.
[30]Muhammad Abū Zahrah, *Tarīkh al-Jadal* (Cairo: Dār al Fikr al 'Arabī, 1980), 298.
[31]Muhammad Abū Zahrah, *Tarīkh al-Jadal*, 298-299.
[32] Al-Kahf 18:54.
[33]Al-Nahl 16:111.
[34]Muhmmad Jamāl al-Dīīn Al Qāsimī ,*Tafsīr Mahasin al Tavīl* (Beruit: Dār al Fikr, 1978), 10:161.
[35]Abū 'Isā, Muhmmad Ibn 'Isā al-Tirmzī, *Sunan al Tirmizī,* ed. Ahmad Muhmmad Shākir (Cairo: Shirkah Maktabah wa Matba'ah Mustafā al-Bābī al-Halbī, 1975), Hadīth no: 2425.
[36]Abū al-Baqā Sālih Ibn Hussain al-Ja'farī *Al Rad 'Alā Al Nasarā Takhayyul min Harūf Al Injīl*, ed. Muhmmad Muhmmad Hassnīn (Cairo: Maktaba Wahbah, 1988), 25.
[37]Al-Ja'farī, *Al Rad 'Alā Al Nasarā ,Takhayyul min Harūf Al Injīl*, 25.
[38]Al-Ja'farī, *Al Rad 'Alā Al Nasarā Takhayyul min Harūf Al Injīl*, 25.
[39]Al-Ja'farī, *Al Rad 'Alā Al Nasarā Takhayyul min Harūf Al Injīl*, 26.
[40]Abd al-Rahmān Hasan Habanakah al-Maidānī, *Dhawābit al Ma'rifah wa 'Usūl al-Istidlāl wa al-Munāzarah* (Damascus: Dār al Qalam, 1395), 361-362.
[41]Abd Allah Mahmūd Barakāt al-Mu'ti, '*Usūl al-'Āma bain al-Adyān al-Samāwiyah* (Cairo: Dār Sukar, n.d), 22-23.
[42]Al-Nahl 16:125.

[43]Al-'Ankabūt 29:46.
[44]Al-An'ām 6:83.
[45]Al-Hūd 11:32-33.
[46]Al-Zukhruf 43:18.
[47]Saba 34:24.
[48]Al-Maidānī, *Dhawābit al Ma'rifah wa Usūl al Istidlāl wa al Munāzarah*, 364.
[49]Al-Nahl 16:125.
[50]Al-'Ankabūt 29:46.
[51]Al-An'ām 6:108.
[52]Al-Tirmzī,*Sunan al-Tirmizī,* Hadith no: 1977, 4:350
[53]Al-Maidānī, *Dhawābit al Ma'rifah*, 464.
[54]Al-Namal 27:64.
[55]Al-Anbyā' 21:24.
[56]Al-Maidānī, *Dhawābit al Ma'rifah*, 366.
[57]Al-Furqān 25:20.
[58]Al-Qamar 54:1-2.
[59] Adh-dhāriyāt 51:38-39.
[60]Al-Maidānī, *Dhawābit al Ma'rifah*, 368-369.
[61]Al Maidānī, *Dhawābit al Ma'rifah*, 369.
[62]Al-Baqarah 2:30-34.
[63]Al-Tahrīm 66:6.
[64]Al-Anbyā' 21:26-27.
[65]Al-Baqarah 2:30.
[66]Abu al-Fidā' Ismā'īl Ibn 'Umar Ibn Kathīr, *Tafsīr al Qur'ān al 'Azīm*, ed. Muhammad Hussain Shams al-Dīn (Beirūt: Dār al Kutub al- 'Lmiya, 1419), 1:124.
[67] Ibn Kathīr, *Tafsīr al Qur'ān al 'Azīm*, 1:124.
[68]Al-Baqarah 2:32.
[69]Al-Baqarah 2:34.
[70]Muhammad Rashid Ridha, *Tafsīr al-Manar* (Egypt: al-Hai'h al-Misriya al-'Aamma al-kutab,1990), 1:354-355.
[71]Al-A'rāf 7:12.
[72]Abd al-Karīm al-Shahrastānī, *Al-Milal wa al-Nihal* (Beirūt: Dār al Ma'rifat al-Taba'ah wa al-Nashr, 1395), 1:16.
[73]Al-Ma'ī, *Manāhij al-Jadal Fī al-Qur'ān al-Karīm*, 30.
[74]Al-Ghāshiyah 88:17-21.
[75] Al-Ghāfir 40:4.
[76]Al-'Ankabūt 29:46.
[77]Al-Nahl 16:125.
[78]Abd al-Rehman Ibn Muhammad Ibn Khaldūn, *Muqaddimah* (Beruit: Dār al Fikr 1401), 573.
[79]Abū Hāmid Muhammad Ibn Muhammad al Ghazalī, *Ihyā' 'Ulmūm al-Dīn* (Beirūt: Dār al-Kutub al-'ILmiyyah, 1406), 1:53-55.
[80]Al-Mā'idah 5:45.
[81]Al-Mā'idah 5:47.
[82]Al-Mu'tī, '*Usūl Al-'Āma bain al-Adyān al-Samāwiyah*, 43-44.
[83]Al-Mu'tī, '*Usūl Al-'Āma bain al-Adyān al-Samāwiyah*, 44.
[84]Al-Mu'tī,'*Usūl Al-'Āma bain al-Adyān al-Samāwiyah,* 44-45.